

المقالات

العنف في الوسط المدرسي بالمغرب

د. أحمد سوالم

أستاذ التاريخ والجغرافيا - ثانوي تاهيلي

بثانوية عباس محمود العقاد

مديرية سلا - المملكة المغربية

المقدمة:

يعد العنف بصفة عامة والعنف المدرسي بصفة خاصة، من الظواهر المشينة التي تهدد المنظومة المجتمعية والقيمية والأخلاقية للمجتمعات سواء المتقدمة أو المتخلفة. فالعنف ظاهرة قديمة قدم الإنسان، مورس في جميع الحقب وعانت منه مختلف الأديان والمجتمعات، والتي لا يسعنا المجال لسردها، وإنما سنكتفي بالتطرق لظاهرة العنف المدرسي التي تواترت مظاهره وتجلياته خلال السنوات الأخيرة في المؤسسات التعليمية المخصصة للتعليم والتربية والتهذيب، وليس لممارسة العنف والعنف المضاد سواء الممارس من طرف التلاميذ تجاه أساتذتهم أو من طرف الأساتذة تجاه طلابهم، أو الممارس على المؤسسة التربوية وعاملها من طرف محيطها، بهدف الوقوف عن ماهيته وأسبابه وتجلياته وسبل مكافحته والحد من آثاره، لكون العنف المدرسي ظاهرة خطيرة تهدد القيم الإنسانية القائمة على التعايش والسلام وبالتالي مستقبل الإنسانية.

مشكلة الدراسة:

شكلت المدرسة المغربية عبر تاريخها، مشتلاً للقيم والأخلاق والتربية والقدوة، ودرعاً واقياً لقيم المجتمع الدينية والحضارية والكونية، إلا أنها تعيش اليوم أزمة وانهياراً في منظومتها القيمية حيث أصبحت تنتشر فيها مظاهر التحرش والمخدرات...، وذلك فيه تهديد لمستقبل الأجيال القادمة وعامل معيق لتطور مجتمعنا السياسي والاقتصادي والثقافي.

وتعد ظاهرة انتشار العنف بالمؤسسات التعليمية بكافة أنواعه وتجلياته من أخطر المشكلات التي تهدد سير العملية التعليمية التعلمية المغربية والأمن المدرسي، ما يدفعنا لدق ناقوس الخطر حول هذه الظاهرة بهدف مواجهتها والتصدي لها بالطرق التربوية حفاظاً على المدرسة ودورها في التربية على القيم وفي تحقيق التنمية في مختلف المجالات.

أهمية الدراسة:

تكتسب دراستنا هذه أهمية بالغة الأثر، تنبع هذه الأهمية من كونها تتناول موضوعاً تربوياً يمتاز بالراهنية، وهو موضوع العنف المدرسي الذي يعد من الظواهر المشينة التي أصبحت منتشرة في مؤسساتنا التعليمية، سواء الممارس من طرف الأساتذة أو التلاميذ أو غيرهم من الفاعلين التربويين، وما لذلك من تأثيرات على وظيفة المدرسة وعلى قيم المجتمع.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة تحقيق الأهداف التالية :

- التعريف بالعنف كمشكلة خطيرة، تهدد الوسط المدرسي والمجتمع المغربي على حد سواء.
- التفاعل الإيجابي مع بعض الأحداث اللاتربوية المعزولة التي عرفها الحقل التعليمي خلال الآونة الأخيرة، والمرتبطة أساساً بالعنف المدرسي والتي تؤثر على العملية التعليمية التعلمية، وعلى قدسية المدرسة وأهدافها في نشر مجتمع السلم والتسامح المنتشع بالقيم الوطنية والدينية والكونية.
- الوقوف على أسباب ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، وخطورتها على الفرد والمجتمع على حد سواء.
- وضع مقترحات وحلول عملية وتوصيات للجهات المعنية بالتربية والتعليم قصد تفعيلها.

إشكالية الدراسة:

يعاني العالم من شيوع العنف في كافة المجالات سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، لكن الخطير والمثير هو انتقال هذا العنف إلى مشتل التربية على قيم التسامح والتعاون وحقوق الإنسان : المدرسة، ما جعل هذا الموضوع مثار دراسة واهتمام مختلف التخصصات (علم النفس، علم الاجتماع، التربية، الدراسات الدينية...)، بهدف الوقوف عند أسباب العنف في الوسط المدرسي وتجلياته وتقديم الحلول لتجاوز هذه الظاهرة المشينة التي تمس برسالة المدرسة التربوية، وبقدسية التعليم كمهمة تربوية واجتماعية في نفس الآن لما لها من دور في تنمية البلدان وتقدمها.

سنحاول في هذه الدراسة، الوقوف عند ظاهرة العنف المدرسي بالمغرب من خلال التعريف به، ومظاهره، والأسباب الكامنة وراء انتشاره وبعض الحلول لتجاوزه.

تساؤلات الدراسة:

ماذا نعني بالعنف المدرسي؟ وهل العنف ظاهرة محلية أم أنه ظاهرة عالمية تعاني منها مختلف البلدان سواء كانت متقدمة أو متأخرة اقتصادياً واجتماعياً؟ وماهي أسبابه وتجلياته؟ وماهي الحلول الضرورية لمواجهة انتشار مظاهر العنف في الوسط المدرسي؟

محاورة الدراسة:

سنحاول مقارنة هذه الظاهرة من خلال النقاط الآتية :

- ماهية العنف المدرسي.
- العنف المدرسي ظاهرة عالمية.
- أسباب العنف المدرسي وتجلياته.
- حلول تحتاج إلى تفعيل.

أولاً: ماهية العنف المدرسي:

كلمة عنف هي Violence باللغة الفرنسية نسبة إلى الكلمة اللاتينية Violentia التي تدل على طبع غضوب شرس جموح وصعب.

عرف ابن منظور العنف بكونه خرق بالأمر وقلة الرفق، وعليه يعنف تعنيفاً عنافة أعنفه، وعنفه تعنيفاً وهو عنيف إذ لم يكن رقيقاً والعنيف الذي لا يحسن ركوب الخيل وعنفه تعنيفاً وهو عنيف إذ لم يكن رقيقاً والعنيف الذي لا يحسن الركوب ليس له رفق بركوب الخيل.⁽¹⁾

أما اصطلاحاً، فقد اختلفت تعريفات العنف باختلاف الحقول المعرفية التي تدرسه، وحتى داخل التخصص الواحد، وباختلاف اتجاهات من عرفوه. فقد عرفه فيليب بيرنو بكونه: «القوة التي تهاجم مباشرة شخص الآخرين وخبراتهم (أفراداً أو جماعات)، بقصد السيطرة عليهم بواسطة الموت والتدمير والإخضاع أو الهزيمة».⁽²⁾ ويرى محمد أحمد بيومي أن العنف هو كل «سلوك عدواني بين طرفين، يهدف كل منهما تحقيق مكاسب معينة أو تغيير وضع اجتماعي معين، والعنف وسيلة لا يقرها القانون».⁽³⁾ وعرفه دودسون F.Dodson بأنه «هو شعور بالغضب أو العدوانية يتجسد بأفعال دامية جسدياً أو بأعمال تهدف إلى تدمير الآخر».⁽⁴⁾

وعرفته الموسوعة الفلسفية العربية بأنه «أي فعل يعتمد فاعله على اغتصاب شخصية الآخرين، وذلك بإقحامها إلى عمق كيانها الوجودي ويرغمها على أفعالها وفي مصيرها منتزعاً حقوقها وممتلكاتها أو الاثنين معاً».⁽⁵⁾

والعنف أنواع منه العنف السياسي والعنف الأسري والعنف المدرسي، وسنركز في هذا المقام على العنف المدرسي، الذي عرفه كوثر إبراهيم رزق بأنه: «استجابة متطرفة فجّة وشكل من أشكال السلوك العدواني، تتسم بالشدّة والتصلب والتطرف والتهيج والتهجم وشدّة الانفعال، والاستخدام غير المشروع للقوة تجاه شخص ما أو موضوع معين.. يتخذ عدة أشكال (جسمية، لفظية، مادية، وغير مباشرة)، ويهدف إلى إلحاق الأذى والضرر بالنفس أو بالآخرين أو بموضوع ما، وهو إما أن يكون فردياً أو جماعياً».⁽⁶⁾ أما محيي الدين

(1) ابن منظور(2004). لسان العرب، الطبعة الأولى، الجزء العاشر، بيروت: دار الطباعة والنشر، ص 303.

(2) الخوي، محمود سعيد.(2008) العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، ص59.

(3) نفس المرجع، ص 60.

(4) شكور، جليل وديع (1997). العنف والجريمة، بيروت: الدار العربية للعلوم، ص234.

(5) جادو، أميمة منير.(2005)العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام، القاهرة: دار السحاب للنشر والتوزيع، ص4.

(6) نفس المرجع، ص 61.

حسين، فيعتبر العنف المدرسي كل « أذى مقصود، يلحقه الطفل بنفسه أو بالآخرين، سواء كان هذا الأذى بدنياً أو معنوياً مباشراً أو غير مباشر، صريحاً أو ضمناً...»⁽¹⁾ وعرفه فتحي عبد الواحد أمين «كل فعل أو قول أو سلوك يصدر من الطالب أثناء وجوده في المدرسة، خلال اليوم الدراسي تجاه زملائه أو المدرسين أو العاملين في المدرسة، ويترتب عليه إهانة أو تجريح للآخرين أو تهديد لحياتهم أو إتلاف للأثاث أو تعطيل الحصص الدراسية»⁽²⁾.

عرف شليدر Shidler العنف المدرسي، بأنه «السلوك العدوانى اللفظي وغير اللفظي نحو شخص آخر يقع داخل المدرسة»⁽³⁾ وعرفه فرنسوا دوبي Dubet، بكونه «مجموع السلوك غير المقبول اجتماعياً، بحيث يؤثر على النظام العام للمدرسة ويؤدي إلى نتائج سلبية بخصوص التحصيل الدراسي، ويحدد في العنف المادي كالضرب والمشاجرة والسطو على ممتلكات المدرسة أو الغير والتخريب داخل المدارس والكتابة على الجدران والاعتداء الجنسي.. وإثارة الفوضى بأقسام الدراسة»⁽⁴⁾.

واعتبره آخرون «السلوك الذي يمارسه التلميذ في مدرسته، سواء ضد زملائه أو أساتذته أو ضد الممتلكات المدرسية والقائمين عليها، وهو مظهر من مظاهر سوء التكيف المدرسي»⁽⁵⁾.

فالعنف المدرسي، إذن هو العنف الممارس داخل الوسط المدرسي، الذي يمارسه التلاميذ والطلاب تجاه أساتذتهم أو هيئة المؤسسة التعليمية الإدارية وكذا ممتلكاتها، أو الذي تمارسه المدرسة بأطرها على التلاميذ والطلاب بشكل مباشر أو غير مباشر.

أولاً: من خلال التعاريف، يمكن أن نخلص أن العنف المدرسي:

- سلوك عدواني غير مقبول اجتماعياً، يتم داخل المدرسة، ويعد من المظاهر السلبية داخل الوسط المدرسي، غرضه إلحاق الضرر بأحد الفاعلين داخل المدرسة أو بممتلكاتها.
- هو اعتداء مقصود ومتعمد.
- هو امتداد للعنف المجتمعي.
- ليس مصدره فقط الفاعلين داخل الفضاء المدرسي، من أساتذة وتلاميذ وإدارة تربوية، بل قد يكون مصدره أشخاص من خارج المدرسة.
- يتمظهر في أشكال متعددة، كالعنف اللفظي والنفسي والجسدي والعنف ضد الممتلكات المدرسية.

(1) محيي الدين، أحمد حسين محي الدين (1987)، التنشئة الأسرية للأطفال الصغار، الجزء الثاني، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 207-208.

(2) نصر، سميحة وآخرون (2004). العنف بين طلاب المدارس، المجلد الأول، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية، قسم بحوث الجريمة، ص 22.

(3) حوييني، أحمد (2004) العنف المدرسي، ضمن «العنف والمجتمع مداخل معرفية متعددة»، الملتقى الدولي الأول (9-10 مارس)، جامعة بسكرة، ص 234.

(4) نفسه، ص 236.

(5) تيداني، خديجة وآخرون (2004) الأسرة والمدرسة سوء التكيف المدرسي بين الإشكالية والواقع، الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، وهران، ص 78.

ثانياً: العنف المدرسي ظاهرة عالمية:

ظاهرة العنف المدرسي، ظاهرة عالمية ليست مرتبطة بدولة دون أخرى، فهي آفة عابرة لحدود الدول والأوطان والقارات. ولكن نسبتها تختلف من مجتمع لآخر وبين العالم المتقدم والعالم النامي، وكذلك طرق معالجتها ومجابهاتها. وفي هذا المقام لا يسعنا المجال للوقوف على هذه الظاهرة وأرقامها في مختلف أنحاء المعمور، وإنما سنكتفي بأمثلة كنموذج لا على سبيل الحصر.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية، تحدث باريك كريك Barak greeg في دراسة قام بها للواشنطن بوست سنة 1997 حول العنف في المدارس الأمريكية، عن حدوث أربعة ملايين جريمة مدرسية كل عام بالولايات المتحدة الأمريكية، والممارسين لها غالبيتهم من الطلاب أعمارهم ما بين (1) 12-19. وهي نفس الخلاصة، التي وقفت عندها إحصائيات المركز القومي للإحصائيات التربوية بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث وصلت مؤشرات العنف المدرسي في المدارس الإعدادية والثانوية إلى 1234 جريمة عنف لكل 100.000 طالب سنة (2) 1998.

كما تعاني الدول النامية كما الدول المتقدمة، من مشكل العنف المدرسي، ومنها دول المغرب العربي. فمثلاً في الجزائر، يتميز 40 % من التلاميذ بسلوك عنيف، كما تعرض 60 % منهم للعنف من طرف أساتذتهم، وكما مارس 40% من التلاميذ العنف. أما في تونس، فقد أوردت دراسة للمعهد التونسي للدراسات الإستراتيجية حول العنف سنة 2017، مجموعة من المؤشرات الرقمية الدالة على تنامي ظاهرة العنف المدرسي بالمدارس التونسية، وهي كالآتي:

14792 : عنف مادي صادر عن التلميذ.

7392 : حالة عنف صادر عن الأستاذ.

4812 : صادرة عن بقية الأسرة التربوية.

وقد وقف التقرير عن أشكال العنف الممارس كالعنف اللفظي، وأحصى حالاته، وهي كالآتي:

5552 : حالة في صفوف التلاميذ.

920 : حالة في صفوف الأساتذة.

815 : حالة من طرف بقية الأسرة التربوية.

أما في المغرب، فكل يوم تطالعنا وسائل الإعلام على حالات متعددة من مظاهر العنف المدرسي، سواء الممارس ضد الأساتذة (أستاذ ورزازات وأستاذة الدار البيضاء...)، أو الممارس ضد التلاميذ من ضرب مبرح وتحرش جنسي. أما الدراسات الرسمية وغير الرسمية حول الظاهرة فقليلة، ومنها الدراسة التي قامت بها وزارة التربية الوطنية حول واقع العنف في المدارس المغربية، والتي أوردتها أستاذة علوم التربية أحمد أوزي في كتابه «سيكولوجية العنف: مؤسسة العنف»⁽³⁾، وكشف فيها عن تنوع أشكال العنف في الوسط المدرسي (جسدي، ولفظي، وتحرش...).

(1) p.92 B. (2003). Violence and mon violence London : sage pub, Greeg.

(2) الخوي، مرجع سابق، ص 14.

(3) أوزي، أحمد (2014). سيكولوجية العنف عنف المؤسسة، الدار البيضاء: منشورات مطبعة النجاح الجديدة، ص 123.

- العنف الجسدي: 58 %.

- العنف اللفظي : 14 %.

- التحرش الجنسي: 14 %.

أما فيما يخص مصدر العنف المدرسي، فجاءت الإحصائيات كالتالي :

- العنف الذي يمارسه التلاميذ تجاه أساتذتهم نسبته 20 %.

- العنف الممارس بين التلاميذ 11 %.

- عنف التلاميذ تجاه الإدارة : 8 %.

- عنف الأساتذة تجاه الإدارة : 3 %.

- عنف الأساتذة فيما بينهم : 1 %.

- العنف الذي مصدره خارج المحيط المدرسي: 56 %.

أما فيما يخص الجنس الذي يمارس العنف المدرسي، فالذكور فيما بينهم بنسبة 59 % والذكور ضد الإناث ب 40 %، أما العنف بين الإناث 1 %، ما يعكس أن العنف المدرسي من حيث الجنس الذي يمارسه، فهو ذكوري بامتياز.

كما قام «التضامن الجامعي المغربي»- منظمة مغربية غير حكومية أسست سنة 1934 تهتم بالدفاع القانوني عن نساء ورجال التعليم-، بدراسة علمية تعد الأولى من نوعها بالمغرب حول ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، وأعلن عن نتائجها في ندوة صحفية بعد زوال يوم الجمعة 28 يونيو 2019، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

- 63% من المؤسسات التعليمية تتوفر على «قاعة للأنشطة التربوية» مفعلة، وتفعيلها ساهم في

التخفيض من نسبة العنف، فقد أكد 62.8% من العينة المدروسة أنهم لم يتعرضوا للعنف اللفظي

بفعل تفعيل قاعة الأنشطة التربوية، مقابل تعرض 49.3 % منهم للعنف اللفظي، بسبب غيابها.

- صرح 53.5% من العينة المدروسة، أن محيط مؤسساتهم التعليمية «مؤمن»، في حين يرى 46.5%

عكس ذلك. وكلما كان المحيط «مؤمناً»، كانت العلاقة بين الأساتذة جيدة، فتأمين محيط المؤسسة،

يساعد على تطوير العلاقات بين مختلف الفاعلين التربويين داخل المؤسسات التعليمية، وذلك يساعد

على تناقص نسبة العنف المدرسي حسب الدراسة من 65.5% لتصل إلى 34.5%.

- على مستوى العلاقات بين الفاعلين بالمؤسسات التعليمية، أكدت الدراسة أن 60% يرون أن العلاقة

بين المدرسين «جيدة»، في حين يرى 37.7% أنها علاقة «مقبولة»، بينما 2.3% يرون أنها «متوترة».

- أما العلاقة بين المدرسين والتلاميذ في الوسط المدرسي، فيرى 37% أنها جيدة، أما بخصوص «العلاقة

بين المدرسين والإداريين» فتبدو «جيدة» بنسبة 64.2%.

- خلصت الدراسة إلى أن 46% من المشاركين، تعرضوا لحالة عنف واحدة على الأقل (لفظي أو جسدي أو

تحرش) خلال مسارهم المهني. وتزداد حالات العنف مع اكتظاظ الأقسام الدراسية، فحسب الدراسة

ارتفعت نسبة حالات العنف التي تعرضت لها العينة المدروسة من 24.4% بالنسبة إلى الأقسام التي

تضم ما بين 6 و30 تلميذاً، إلى 57.10% بالنسبة للأقسام التي يتعدى عدد تلاميذها 45 تلميذاً.

- 92.5% من المشاركين لم يتعرضوا لعنف جسدي طيلة مسارهم المهني، في حين 7.5% منهم، كانوا ضحية عنف جسدي بمؤسساتهم التعليمية أو بمحيطها مرة واحدة على الأقل، و 78% من حالات العنف الجسدي سجلت داخل المؤسسات، و 17.5% منها وقعت بمحيطها. أما عن هوية مرتكبي العنف الجسدي، فهم الآباء والأمهات بالدرجة الأولى في السلك الابتدائي، في حين الثانوي بسلكه الإعدادي والتأهيلي) فالتلاميذ هم أكثر الفئات ارتكاباً للعنف.

- 82% من حالات «العنف اللفظي» تمت داخل المؤسسات التعليمية، مقابل 18% تمت في محيطها، غالبيتها كان مصدرها التلاميذ والأساتذة، فالتعرض للعنف الجسدي، يوازيه التعرض للعنف اللفظي بنسبة 80.3%.

كما أن التحرش الجنسي حاضر بالوسط المدرسي، وشمل جميع الفئات المشاركة، بالرغم من كون أن نسبته ضعيفة، ما بين 4% و 15%، وتعتبر الأساتذات ضحايا للتحرش الجنسي أكثر من الأساتذة، ب 16% مقابل 12.4%، ويرتفع التحرش في الأقسام التي تعرف اكتظاظاً، حيث ينتقل من 7.4% داخل الأقسام ما بين 6 و 30 تلميذاً، إلى أكثر من 35% بالنسبة للأقسام التي يدرس بها 40 تلميذاً فأكثر. ومع التطور التقني والتكنولوجي الذي يعرفه العالم ومنه المغرب ظهر التحرش الإلكتروني، الذي يعد التلاميذ الأكثر ارتكاباً له بـ 49%، ثم الأشخاص الأجانب عن المؤسسة التعليمية بـ 41.5%، ولا يمثل الآباء سوى 9.7%⁽¹⁾.

ما سبق، يبين أن العنف المدرسي ظاهرة عالمية منتشرة في الدول المتقدمة كما الدول المتخلفة وأنها ليست مرتبطة بمجتمع دون آخر، ولكن تختلف مسبباتها وتجلياتها من دولة لأخرى. فما هي أهم أسباب وتجليات العنف المدرسي؟

ثالثاً: أسباب العنف المدرسي وتجلياته:

العنف هو سلوك ينتقل من المجتمع إلى المدرسة، وبالتالي تصبح المدرسة تتحمل أعباء المشاكل الأسرية والشارع. لذلك فدوافع وأسباب العنف المدرسي متنوعة ومتعددة، فمنها ما يتعلق بالوسط العائلي باعتبار الأسرة النواة الأولى للمجتمع، فالرعاية الأسرية السليمة المبنية على أسس التربية والقيم والعدالة والمساواة، كفيلة بإنتاج فرد متوازن يميل إلى الحوار ولا ينجح إلى العنف، في مقابل ذلك، فالطالب الذي لا يجد الرعاية من والديه يكون أكثر قلقاً وميلاً إلى السلوكيات العنيفة. كما أن رؤية مظاهر العنف داخل الأسرة التي تعد أساس وركيزة المجتمع، كضرب الزوج لزوجته أمام أطفاله، تساهم في تشكل شخصية الطفل وجنوحه إلى العنف.

ولا تقتف أسباب تشكل العنف في صفوف التلاميذ عند الأسرة، بل تتعدى ذلك إلى المدرسة، منها ماهو بيذاغوجي، كالمناهج الدراسي الذي يعتبر مصدراً خصباً من مصادر العنف المعنوي فهو لا يلبي احتياجات المتعلمين ولا يلاءم احتياجاتهم واستعداداتهم النفسية والوجدانية والعقلية، ناهيك عن طريقة التدريس المعتمدة والمبنية أساساً على التلقين والعقاب، سواء المادي أو غير المادي المصرح وغير المصرح. إضافة إلى مجموعة من السلوكيات المنحرفة في الوسط المدرسي، والتي يمارسها الأساتذة على تلاميذهم والبعيدة عن

(1) التضامن الجامعي المغربي (2019). نتائج دراسة ميدانية العنف ضد الهيئة التعليمية في الوسط المدرسي صيغة مختصرة، إشراف عبد الجليل باحدو، وتنسيق رشيد شاكري وسعيد حميدي. متاح على موقع المنظمة : www.sum.ma

النظريات المعاصرة في مجال التربية، والتي تساهم في إنتاج العنف كالتمييز بين المتدربين، وغياب مبادئ الإنصاف والمساواة داخل الفصل الدراسي، والاستهزاء والتحقير والتفوه بألفاظ نابية في حق التلاميذ، ما يؤدي إلى ردود أفعال عنيفة من بعض المتعلمين.

وكما يلاحظ من الناحية القانونية، غياب ترسانة قانونية صارمة تنظم العلاقات بين القائمين على الشأن المدرسي وبين المحيط، وتعالج مسائل الخلاف بين الأطراف الفاعلة في الوسط المدرسي (أساتذة إدارة وتلاميذ وأولياء الأمور..)، وتتصدى لكل الانحرافات والسلوكيات العدوانية التي تستهدف الوسط المدرسي وفاعليه.

كما تلعب الرفقة السيئة، دوراً مهماً في تفشي العنف داخل المدارس، فمعاشرة أصدقاء السوء المنحرفين وغير الأسوياء، تولد السلوكيات العنيفة في ظل ما تعانيه المؤسسات التعليمية من غياب للأمن وبيع للمخدرات والأقراص المهلوسة على أبوابها، وغياب التأطير التربوي والمصاحبة الاجتماعية والنفسية للمتعلمين.

إلى جانب ما سبق، تساهم وسائل الإعلام بمختلف أنواعها في تفشي ظاهرة العنف المدرسي، من خلال برامجها ومسلسلاتها وأفلامها، التي تنقل مشاهد العنف المبالغ فيه، ما يولد السلوك العنيف داخل المجتمع ولدى المتدربين، ناهيك عن الدوافع النفسية لدى التلاميذ، والتي تعتبر اللجوء للعنف وسيلة لإثبات الذات، ومظهر من مظاهر الرجولة أمام أقرانهم.

أما تجليات العنف في الوسط المدرسي فمتعددة ومتنوعة، و يمكن تلخيصها في مايلي:

- الاعتداء اللفظي في حق الغير سواء من طرف التلاميذ أو الأساتذة، سواء عن طريق السب أو الاستهزاء والتحقير والتهديد.
- الإيذاء البدني، كالضرب والجرح.
- إلحاق الأذى بممتلكات الغير سواء تلميذاً أو أستاذاً، أو ما يتصل بممتلكات ومرافق ومنشآت المؤسسات التعليمية، سواء عن طريق الحرق أو السرقة أو الإتلاف.
- الإيذاء النفسي، كالعبارات الساخرة والإيماءات والإشارات والمقاطعة والعزلة.
- التحرش الجنسي، سواء كان لفظياً أو حركياً أو جسدياً.

رابعاً: حلول تحتاج إلى تفعيل:

لا يمكن معالجة مشكل العنف والعنف المدرسي بصفة خاصة، بعيداً عن معالجة الاختلال التي يعيشه المجتمع بصفة عامة، سواء في مجاله السياسي حيث انعدام العدالة والديمقراطية وسيادة مظاهر الإقصاء والعنف والعنف المضاد، أو في شقه القانوني من خلال سيادة القانون على الجميع من خلال تشريعات تستهدف الحد من العنف سواء السياسي أو الأسري أو المدرسي، أو في شقه التربوي من خلال اعتماد الطرق البيداغوجية العصرية القائمة على الإنصاف والجودة والحوار بعيداً عن الطرق التقليدية القائمة على التلقين و القمع والإكراه البدني، وتزويد المؤسسات التعليمية بالموارد البشرية والمادية الكافية مع ضرورة إعطاء أدوار جديدة للمدرسة التعليمية وتجديد وظيفتها وإدخال أطر وتخصصات جديدة لها خصوصاً ما يتعلق بالتأهيل النفسي والاجتماعي للتلاميذ، عبر إحداث مناصب للمرشدين النفسيين والاجتماعيين بالمؤسسات التعليمية لمساعدة التلاميذ على إيجاد وتلمس حلول لمشاكلهم النفسية والاجتماعية، والتي تعد من أسباب ظهور سلوكياتهم العدوانية العنيفة.

كما يجب مواجهة ظاهرة الاكتظاظ في الوسط المدرسي من خلال التخفيف من عدد التلاميذ في القسم، فضلاً عن تأهيل جمعيات آباء التلاميذ وأمهاتهم، لتكون شريكاً فعالاً في التخفيف من العنف بالوسط المدرسي.

ويبقى التركيز على الجانب الوقائي أمراً ضرورياً، عبر صياغة قوانين لحماية نساء ورجال التعليم من العنف وتوفير «الأمن» بمحيط المؤسسات التعليمية عبر الاستعانة وعقد شراكات مع المصالح الأمنية (الأمن الوطني والدرك الملكي)، ومكافحة مسببات العنف المدرسي من خلال نشر ثقافة الحوار وحقوق الإنسان والحرية والديمقراطية ونبذ العنف، ومحاولة ضبط السلوكيات العنيفة لدى التلاميذ ومعالجتها، وزرع هذه القيم الإيجابية، ويمكن أن يتم ذلك عبر تفعيل الحياة المدرسية من خلال الأنشطة التربوية وتطوير الأنشطة الموازية بالمؤسسة وتشجيع التواصل الداخلي والخارجي، ومراجعة المضامين المدرسية لتتماشى وحاجيات التلاميذ بتفعيل دور الأندية المدرسية بالمؤسسات التعليمية، كنادي المواطنة وحقوق الإنسان، والعمل على إشراك التلاميذ في هذه الأنشطة، بهدف تنمية ثقافة الحوار والتواصل والوعي الحقوق. كما يجب القيام بحملات تحسيسية بظاهرة العنف المدرسي وخطورتها على الفرد والأسرة والمجتمع، وذلك عبر الندوات والملصقات والمجلات، بمساهمة جميع المتدخلين في الوسط المدرسي.

ومن الحلول التربوية الناجعة التي اعتمدها مجموعة من الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية، للتصدي لظاهرة العنف في الوسط المدرسي، تفعيل المصالحة والوساطة، كآلية وتقنية بيذاغوجية لتدبير الخلاف بين الفاعلين في الوسط المدرسي، تسمح بتدخل أشخاص خارجيين عند حدوث صراع معين بهدف تجاوز علاقة القوة، وإيجاد حل وسط لا غالب فيه ولا مغلوب بغاية تحقيق هدف أسمى هو خلق المواطنة عند التلاميذ والأساتذة والإدارة، وتحسين الأجواء داخل الأقسام خاصة والوسط المدرسي بصفة عامة.

كما يجب التركيز على المجال الإعلامي، ومراقبته مراقبة صارمة بخصوص ما ينشره من ثقافة العنف، وجعله إعلاماً تربوياً ومواطناً يزرع في صفوف النشء المظاهر الإيجابية الكفيلة، بخدمة المجتمعات وقيمتها. كما يجب التركيز على زرع الجانب القيمي الديني في صفوف الشباب، كوسيلة لتجنيبهم المظاهر السلبية والخطيرة في المجتمع والتي يعد العنف المدرسي إحدى تجلياتها، وبالتالي نحمي مؤسساتنا التعليمية من هذه الآفة المشينة التي تهدد منظومة القيم، ونحمي مجتمعاتنا من العنف الأكبر المتمثل في الإرهاب الذي يترعرع وينمو في الأوساط الهشة حيث الفقر والحرمان والاستغلال والعنف بكافة مظاهره.

على سبيل الختم:

تأسيساً على ما سبق، يبقى العنف المدرسي انعكاس للعنف المجتمعي، ما يفرض تضافر جهود الأفراد والجماعات والدولة لاجتثاث هذه الظاهرة من جذورها، من خلال بناء مجتمع ديمقراطي واعٍ بحقوقه وواجباته، يؤمن بثقافة التسامح والتعايش، ويسلك طريق الحوار والتواصل الفعال كوسيلة ناجعة لمعالجة مختلف المشاكل التي تواجهه، وذلك يتم من خلال جعل الوسط المدرسي مدرسة لزرع السلوكيات الإيجابية، التي تخدم مجتمعاتنا والإنسانية جمعاء.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أوزي، أحمد (2014). سيكولوجية العنف عنف المؤسسة، الدار البيضاء: منشورات مطبعة النجاح الجديدة.

تبداني، خديجة وآخرون (2004). الأسرة والمدرسة سوء التكيف المدرسي بين الإشكالية والواقع، الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، وهران.

التضامن الجامعي المغربي (2019). نتائج دراسة ميدانية العنف ضد الهيئة التعليمية في الوسط المدرسي صيغة مختصرة، إشراف عبد الجليل باحدو، وتنسيق رشيد شاكري وسعيد حميدي. متاح على موقع المنظمة : www.sum.ma

جادو، أميمية منير (2005). العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام، القاهرة: دار السحاب للنشر والتوزيع.

حويبي، أحمد (2004). العنف المدرسي، ضمن «العنف والمجتمع مداخل معرفية متعددة»، الملتقى الدولي الأول (9-10 مارس)، جامعة بسكرة.

الخولي، محمود سعيد (2008). العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية. شكور، جليل وديع (1997). العنف والجريمة، بيروت: الدار العربية للعلوم.

محي الدين، أحمد حسين محي الدين (1987). التنشئة الأسرية للأبناء الصغار، الجزء الثاني، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن منظور (2004). لسان العرب، الطبعة الأولى، الجزء العاشر، بيروت: دار الطباعة والنشر

نصر، سميحة وآخرون (2004). العنف بين طلاب المدارس، المجلد الأول، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، قسم بحوث الجريمة.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

B. (2003). Violence and mon violence London : sage pub. ،Greeg.